مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

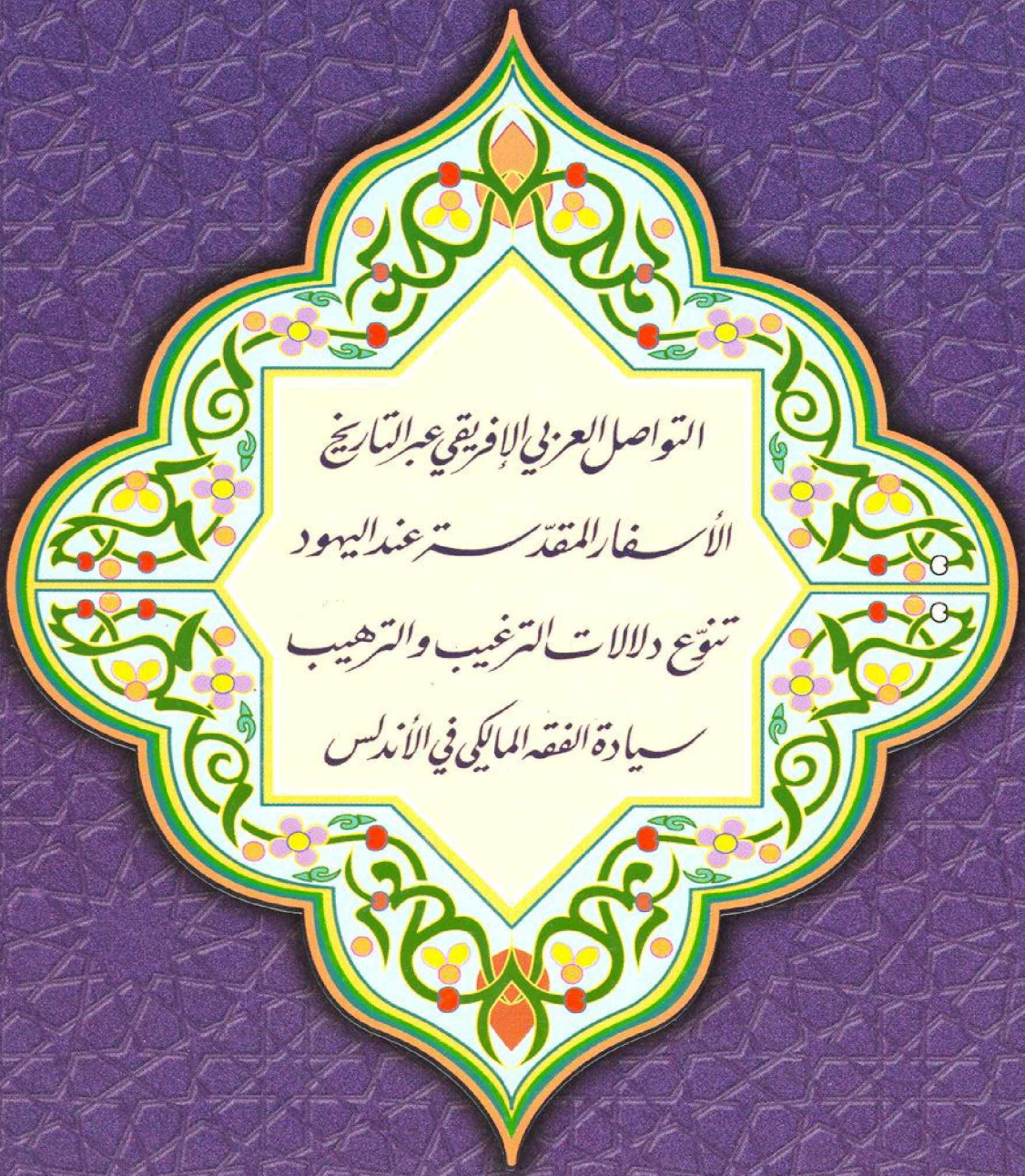

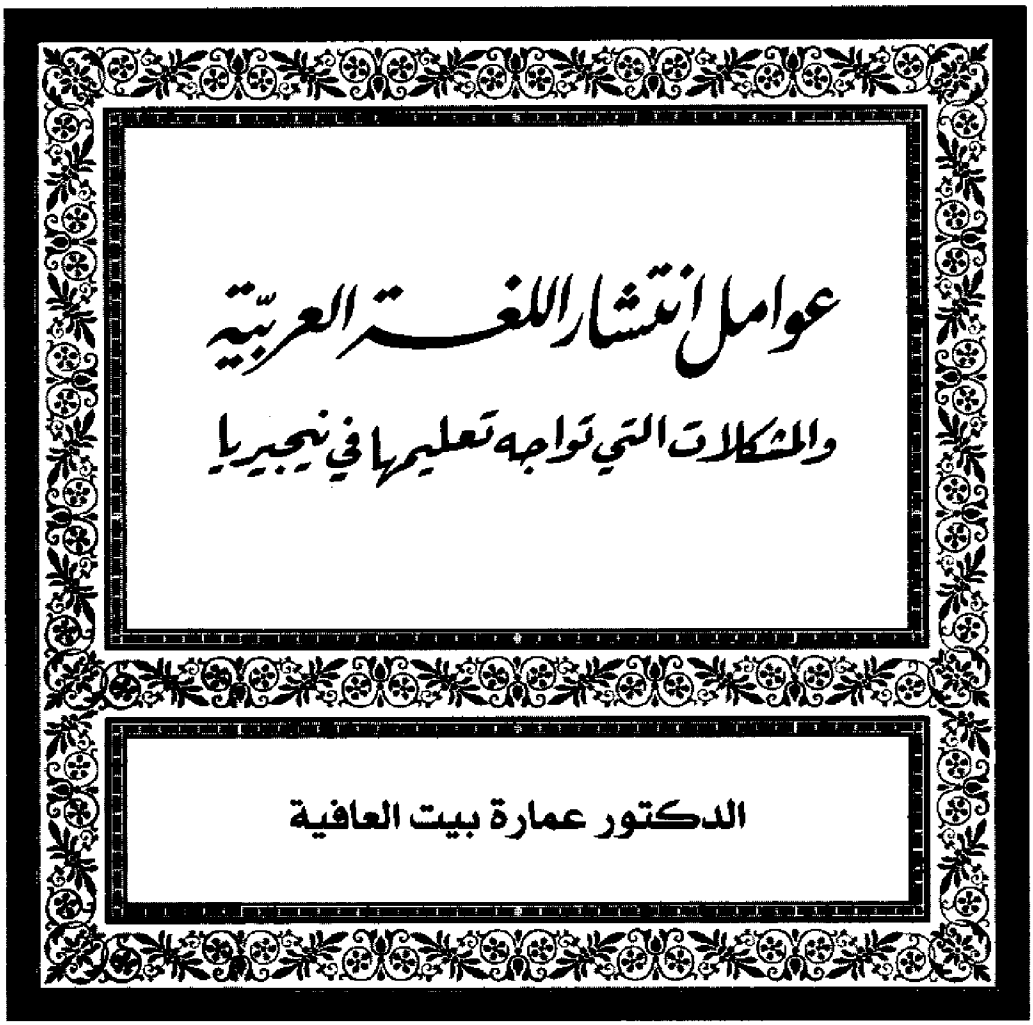

لم تسعفنا كتابات فتوقفنا ـ يقيناً ـ على أصول الأجناس البشرية التي عمرت جنوب الصحراء الكبرى، فانهال سيل من النظريات التي تخمن المواطن التي جاءت منها تلك الأجناس، والطرق التي سلكتها حتى وصلت إلى تلك المناطق فاستوطنتها وعمرتها.

وتقف أقوى تلك التخمينات لتشير إلى أن تلك الأصول تعود إلى شبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا بحكم الجوار وبحكم سهولة الانتقال. وإن لم تكن جاءت من تلك المواطن فمن المؤكد أنها مرت من خلالها. ولا يرد ذلك القول بوجود البحر الأحمر والصحراء، وقد ركب الإنسان قديماً البحر، كما أن الصحراء ذاتها ربما كانت مطيرة بدليل وجود أودية تحجرت أشجارها وبدليل

وجود مخزون مائي هائل في أعماقها، ووجود النفط الذي هو من مخلفات حيوانية ونباتية.

وهكذا كانت الهجرات المبكرة من شبه جزيرة العرب إلى شمال أفريقيا ثم إلى وسط القارة، وكذا الهجرات من شبه الجزيرة إلى سواحل القرن الأفريقي ثم إلى وسط وشرق القارة. أما اكتساب اللون فلا يعد أمراً فارقاً ذا أهمية يمكن الرجوع إليه لتصنيف أصول سكان القارة على أساسه إذ رأيت كثيراً من الليبيين في كنو بنيجيريا وقد تمازجوا بأهلها فاكتسبوا لونهم وكثير منهم استوطنها ـ حديثاً ـ على عهد الاحتلال الإيطالي لليبيا. ومعروف أن الليبيين يمتازون بقدرة على التمازج مع الشعوب الأفريقية المسلمة، فصار التزاوج وحصلت القرابة المتشعبة وتمازج اللون.

وإذا أقررنا أن الهجرات اتخذت ذلك المسار فمن المؤكد أن اللغة قد انتقلت مع أهلها وهي أسهل ما نقلوا، لكن المحافظة عليها لم تكن لتتيسر لهم، إذ شابتها صبغة لسانية محلية ومازجتها مفردات المتسوطنين السابقين. وليس مستغرباً أن يحدث التبدل في اللغة إلى أن تبتعد عن أصولها. ولنا شواهد في اللهجات العربية الحالية في كل البلاد العربية إذ تتكلم كثير من القبائل التي ترجع أصولها إلى شبه الجزيرة لهجات محلية ضاعت في ثناياها اللغة الفصيحة.

وهكذا هو الشأن عند بعض القبائل التي نزحت من شبه الجزيرة واستوطنت السودان الغربي ومن بينه الوطن النيجيري، وذلك بدوافع الانتشار بسبب العمل على نشرها، أو بسبب التدافع البشري وخاصة عندما سقطت بعض الدول فاحتمى اتباعها بالصحراء حتى وصلوا إلى السودان الغربي بل وسواحله الجنوبية والغربية، مثلما نزحوا إلى الأندلس بعد سقوط دولة الأمويين.

لم يبق اللسان عربياً فصيحاً، وقد تشابكت العوامل الفاعلة التي عملت ضده، ولم يعد لسان عامة الناس، ومع ذلك لم تكن تلك العوامل عائقاً دون اكتساب اللغة العربية، التي يمكن أن نسمعها ونحس بوجودها حية لدى كثيرين من أهل البلاد النيجيرية ـ مدار حديثنا ـ حيث يتكلم كثيرون منهم العربية وبفصاحة، ومنهم أعلام برزوا في العربية وآدابها.

ولا يخرجنا عما هو مستهدف بالحديث سوق المثال التالي، فقد حضر أستاذ نيجيري للتدريس بالجامعات الليبية وهو متخصص في علم اللغة المقارن وكان كثيرون من زملائه في مقر عمله الجديد يظنونه سودانياً، ومن بعد صاروا يكبرون ما هو عليه من طلاقة لسان.

هذا مدخل وددت من خلاله التعريف بشيء من واقع امتلاك اللسان العربي لدى كثيرين من إخواننا النيجيريين في هذا الزمان. أما في الماضي فإن تاريخ المنطقة يدل على أن اللغة العربية كانت لغة السياسة والحكم ولغة التدريس، بل ولم تعرف المنطقة لغة رسمية كان لها انتشار واسع مثل اللغة العربية، (إنها الأداة الوحيدة التي تعرف بواسطتها الحقائق التاريخية الصحيحة لهذه البلاد معرفة كاملة)[1].

يقول عبد السلام الأبدون: (وبفضل استقرار الدين الإسلامي وانتشاره انتشرت اللغة العربية انتشاراً هائلاً في البوادي والقرى والمحافظات والمقاطعات والمديريات يزاد إلى ذلك إقبال أهالي هذه الأماكن كلها على تعلمها إقبالاً رائعاً بحيث يستطيع معظم الشعب الكواري أن يقرأ الكتب المكتوبة باللغة العربية ويفهمها ويتحدث بها)[2].

والشعب الكواري الذي يشير إليه الأبدون هو شعب إحدى الولايات النيجيرية في أقصى الوسط الغربي، وهذا مؤشر على أن ما عداها من ولايات وخاصة في الشمال كانت أقرب إلى شيوع اللغة العربية فيها خاصة وأن بعض هذه الولايات كان يمثل مراكز إشعاع حضاري إسلامي مثل سوكوتو وبرنو، أما ما جاورها من ولايات فمن المؤكد أن العربية قد رافقت الإسلام فيها وانتشرت موازية له، وبقدر اهتمام النيجيريين بالإسلام كان اهتمامهم بلسانه.

---

(1) على نائبي سويد، مقالة: خواطر حول تدريس اللغة العربية في المدارس النيجيرية، 1982، ص50، والكلام يرجع للدكتور كينيت ديكي المدير السابق لجامعة أبادن.

(2) عبد السلام عبد الحميد عبد الرحمن الأبدون، الإنتاجات الأدبية العربية في الفترة ما بين 1988 ـ 1960م، فيما يعرف اليوم بولاية كوارا، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم اللغة العربية جامعة بايرو ـ كنو ـ نيجيريا، ص: ف.

ولا يعد وصف الأدب بالعربي في كثير من مناطق نيجيريا مبالغة يطلقها العرب، ولا هي صفة ذات أفق ضيق، بل هي مما يقره النيجيريون أنفسهم، يقول الأبدون في مقدمة بحث له: (وبديهي أن هناك أموراً كثيرة لا يدعيها هذا البحث، ولكنه يدعي أمراً واحداً لعل الباحثين والدارسين يقرونه له، هو أنه حاول أن يجمع حقائق أدبية وشخصيات جديدة غير معروفة عن الأدب العربي الكواري من قبل)[3].

يقول الشيخ أبو بكر المسكين الأديب البرناوي: (إن برنو منذ نشأتها عربية بحكم الإسلام، فلم تعرف برنو لغة رسمية غير اللغة العربية، فهي لغة الثقافة والعلم، فقد استعملتها برنو في إدارة شؤونها، وصدرت بها قرارات المحاكم وتصريحات الحكومة، حتى احتل المستعمرون المنطقة في القرن العشرين وغيروا من مجرى الحياة. ولكن مع ذلك فإن برنو تعترف بسيادة اللغة العربية على اللغة الإنجليزية لغة المستعمر إلى اليوم، وخاصة عند العلماء بحكم إنها لغة الدين، وأثر هذا موجود في نفوس العلماء التقليديين ومريديهم وتلاميذهم)[4].

(وكان اختلاط الكنويين بالعرب قد أثر إلى حد بعيد في حياتهم الدينية والاجتماعية والفكرية والسياسية، كما أثر في لغتهم وامتزج بها دماً ولحماً، فقد انتشر الإسلام في الديار الكنوية انتشاراً عظيماً وانتشرت معه لغته العربية وثقافتها، فأحبها المسلم الكنوي وأكرمها إكراماً جعله يقدس ويكرم كل ما كتب بها ولو كان المكتوب صحيفة)[5].

ولنا أن نسوق حقيقة تاريخية تؤكدها الشواهد وهي أن اللغة العربية كانت لغة العلم والثقافة والسلطان في عموم الأقاليم النيجيرية المسلمة حتى لقد نشأت

---

(3) عبد السلام عبد الحميد عبد الرحمن الأبدون، المرجع السابق ص،ز.

(4) من مقابلة أجراها معه يقعوب يونس موسى، نماذج من الشعر العربي البرناوي، 1890 ـ 1970 عرض وتحليل رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم اللغة العربية جامعة بايرو ـ كنو ـ نيجيريا، ص8.

(5) يعقوب أحمد دوكاوا، إنتاجات الكنويين الأدبية (شعر ونثر)، ص41.

ممالك كان لسانها عربياً، وكان أمراؤها أساطين في التأليف بالعربية وفي النظم بها.

وقد ساعدت عوامل كثيرة على انتشار اللغة العربية، أسوق ما أورده منها يعقوب يونس موسى، حيث عدد من العوامل التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في مملكة برنو ما يأتي[6]:

1 ـ دخول الإسلام إلى المنطقة في وقت مبكر بالطرق السلمية على أيدي التجار والفقهاء من شمال أفريقيا، ولغة الإسلام هي اللغة العربية.

2 ـ عناية أهل برنو الفائقة بترتيل القرآن وحفظه، وهو الدستور الوحيد الذي يرجع إليه المسلون في مشاكلهم الدينية والدنيوية.

3 ـ اتصال البرناويين بالعرب قبل الإسلام، ووجود جاليات عربية في المنطقة منذ وقت مبكر من التاريخ.

4 ـ اعتقادهم بأنهم من سلالة العرب. حيث أفادت الروايات الكانورية بأن أهلها ينتسبون إلى أهل البيت من بني الحسن. وكان تعلم اللغة العربية موضع افتخارهم وحتمياً بالنسبة إليهم.

5 ـ تأسيس مملكة إسلامية باسم مملكة برنو الإسلامية، والتي تعتبر من أكبر الممالك الإسلامية في القارة السوداء.

6 ـ يظهر من عادات أهل برنو أنهم عرب أكثر من غيرهم في هذا الجزء من القارة ويتمثل هذا في زيهم والتقاليد العربية والإسلامية.

7 ـ اتخاذهم العربية لغة رسمية للمملكة وكذلك للثقافة والعلم، فقد استعملت اللغة العربية في سجلات الحكومة وصدرت بها قرارات المحاكم ووسائل التهنئة والرسائل الدبلوماسية والخطب الدينية.

8 ـ كذلك مما ساعد على تطور اللغة العربية وآدابها في برنو وجود رواق لهم باسم الرواق البرناوي بالأزهر الشريف. حيث قام سلاطين برنو بإرسال

---

(6) يعقوب يونس موسى، مرجع سابق، ص ص 12 ـ 14.

سلسلة من البعثات إلى القاهرة، ونتج عن ذلك وجود علماء مثقفين من أبناء المنطقة تخرجوا من الأزهر وعادوا إلى برنو.

9 ـ صلة برنو بالعالم العربي والإسلامي قوية ومستمرة، ولها جوانب متعددة تجارية وسياسية وثقافية، ومعظم هذه الصلات كانت مع المغرب وشمال أفريقيا.

10 ـ يحظى العالم في المجتمع البرناوي بمكانة عالية فيها تبجيل كبير، لما يمتاز به من ثقافة، فيلتف حوله عدد من الناس. ولا يزال العلماء يتمتعون بهذه المكانة إلى يومنا هذا.

11 ـ انتشار المدارس والمعاهد التي تدرس العلوم الدينية والعربية وعكوف العلماء على التأليف باللغة العربية.

وإذا ألمحنا إلى مدى أهمية اللغة العربية للشعب النيجيري، وتلمسنا أهداف تعليمها[7]، فإننا نستوضحها في الآتي:

1 ـ يمثل المسلمون نسبة عالية من عدد سكان نيجيريا، وهي أكثر البلاد سكاناً في أفريقيا. وهذا يستلزم الاطلاع على القرآن الكريم دستور الإسلام الثابت ويعشق النيجيريون المصحف الشريف ويسعى كل مسلم منهم لاقتنائه. وترى كثيرين منهم يصطحبونه إلى المساجد يتابعون فيه قراءة الإمام (وهذا في صلاة القيام).

ولا يخفى ما يكون لفهم العربية من دور مهم في فهم القرآن الكريم

2 ـ الإلمام بالعربية يمكن المسلم من استنباط الأحكام الشرعية من القرآن الكريم ومن السنة النبوية. كما يمكنهم من الاطلاع على الموروث الإسلامي في المجالات الكثيرة التي كتب فيها المسلمون من قبل.

3 ـ بالرغم من الكيد الكبير والمعاناة التي تواجه المسلمين وتسعى إلى إبعادهم عن دينهم لا تزال مرجعيتهم في أمور أحوالهم الشخصية تستند

(7) للتوسع في ذلك، انظر: عبد الحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري، قسم اللغة العربية جامعة بايرو ـ كنو ـ نيجيريا، 1983، ص130.

إلى الشرع الحكيم وتطبق التعاليم الإسلامية عبر المحاكم الشرعية. ولذلك فإن الحاجة قائمة للقضاة الذين لا بد في إعدادهم من معرفة باللغة العربية مفتاح الولوج إلى الدين الإسلامي.

4 ـ تنتشر المدارس الأهلية في ربوع الوطن النيجيري، ومن بينها المدارس التي تقوم على تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، وهذه المدارس تحتاج إلى المعلمين ذوي الكفاءة والخبرة في مجال اللغة العربية.

5 ـ لنيجيريا علاقات متميزة مع البلاد العربية ولذلك فهي تستفيد من المتخصصين في اللغة العربية في وظائف السلك السياسي.

6 ـ تنتشر المساجد في ربوع الوطن النيجيري، وهي تحتاج إلى الأئمة والخطباء، ويعتمد أكثرهم إلقاء خطبته باللغة العربية. بينما يخصص بعضهم الخطبة الأولى للحديث باللغة العربية وفي الثانية يتحدث باللسان المحلي.

7 ـ قامت جهود استعمارية خبيثة ركزت على أن تكون الدراسة الجامعية في مجال الإسلاميات بلغة المستعمر (الإنجليزية)، وتستعيد كثير من الجامعات ـ حالياً ـ دورها الأصيل فتدرس العلوم الإسلامية باللغة العربية وهي تحتاج في ذلك إلى قدرات ذات تأهيل عال تمتلك اللسان العربي.

8 ـ تزخر البلاد النيجيرية بكثير من المؤلفات المحلية التي تعود إلى تواريخ متفاوتة، ولا يزال أكثرها مخطوطاً، لم ينشر بعد فما بالك بتحقيقه. وكل ذلك يحتاج إلى همة تسبقها قدرة لسانية عربية، إذ كتبت تلك المؤلفات بلسان وحرف عربي.

9 ـ تحتاج المدرسة الحديثة إلى تطوير يشمل المقررات القرآنية والحديثية وغيرها من الدراسات الإسلامية، ولا بد من مراجعة الصورة التقليدية للمدرسة، وهذا كله يحتاج إلى جهود مضاعفة لا بد لمن يخوضها أن يكون ملماً بالعربية وبالدراسات الإسلامية.

10 ـ يحتاج تاريخ نيجيريا إلى دراسة لا تغفل ما كتب عنها بالعربية عبر القرون الماضية ولا يمكن الركون ـ فقط ـ إلى ما كتبه عنها الغربيون المغرضون

في كثير من كتاباتهم. وهذا يحتاج إلى إلمام بالعربية وتاريخ المنطقة الإسلامي الزاهر.

وقد كانت هناك ولا تزال عوامل ووسائل متعددة أسهمت في انتشار اللغة العربية في البلاد النيجيرية بعامة، فقد تقدمت العوامل الخاصة بمملكة برنو، أحاول في الآتي إبراز أهمها[8].

1 ـ ظهرت المعاهد والمدارس العلمية، التي اختصت في تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي، والتحق بها كثيرون من أبناء المسلمين في ربوع البلاد النيجيرية ومن البلاد المجاورة حيث تمتاز المنطقة بمرونة تنقل سكانها وقلة القيود عليهم في ذلك. وبعد تحصيل للعلوم العربية والإسلامية يعود أولئك إلى مناطقهم فيثرون الحياة العلمية والأدبية.

2 ـ واظب الصوفيون على الانتظام في حلقات ذكر يومية تتخللها مدائح وأذكار وأدعية يساق أغلبها باللغة العربية.

بل واتخذ بعضهم اللغة العربية وسيلة التعبير لنشر التصوف. ولا يخفى ما للتصوف من دور فاعل في انتشار الإسلام واللغة العربية في السودان الغربي.

3 ـ كان كل من يعد عالماً ـ وإلى عهد قريب ـ يستعمل اللغة العربية، وبديهي أنها الوسيلة للعلوم الإسلامية وللتبحر فيها. كما أن من يعد نفسه شاعراً كان يكتب باللغة العربية. ولا تزال تسري وإلى يومنا الحاضر هذه القدرة الكبيرة لدى كثير من النيجريين الشباب ممن يتقنونها وينافحون عنها ويحفظون عن ظهر قلب المتون في مختلف علومها.

4 ـ ظهرت في العقود الأخيرة منظمات عدة أخذت على عاقتها مسؤولية نشر الدعوة الإسلامية والدفاع عن الإسلام والمسلمين وقد تبنت هذه

---

(8) انظر: يعقوب أحمد دوكاوا، مرجع سابق، ص ص 41 ـ 43. وما أخذ منه في هذا الموضع حدث فيه تصرف كبير وأضيف إليه.

المنظمات اللغة العربية وعملت عبر جهودها على تدريسها للناشئة ونشرها بين الأتباع.

5 ـ ظهور أقسام متخصصة في أغلب الجامعات النيجيرية تهتم مباشرة باللغة العربية وآدابها، بل وتمنح الدرجات العلمية العالية فيها وقد أسهمت هذه الأقسام بفعالية في نشر اللغة العربية.

6 ـ تعد المناسبات والمواسم الدينية فرصاً لظهور اللغة العربية على الألسن حيث تكون تلاوة القرآن، ورواية الأحاديث، وإنشاد الأذكار والمدائح وترديد القصائد. ولا زالت أكثر المدارس الإسلامية تحتفل بمولد النبي ﷺ، من ضمن برامج احتفالاتها أن يقوم ولد صغير لا تتجاوز سنه السابعة فيتقدم أمام الجميع ويرتل القرآن الكريم، ثم يختبر في المواد الدينية كالفقه والحديث والتفسير والتوحيد وغيرها، وكثيراً ما ينشد الشعر. فكان نتيجة لذلك أن تنافس الآباء والأمهات على السواء في إدخال أبنائهم وبناتهم هذه المدارس الإسلامية فكان لذلك أثر كبير في نشر اللغة العربية وثقافتها.

7 ـ لا زالت المدرسة التقليدية في أحد جوانبها قائمة في ربوع البلاد النيجيرية، حيث لا زلت ترى اعتكاف الطلاب لتلقي العلم على يد شيخ عالم متبحر في مختلف العلوم الدينية وفي العربية وآدابها. وقد زرنا أحدهم في بيته وقد تحلق حوله عدد من طلابه معتكفين لتلقي العلم على يديه ومنهم من تجاوز عشراً من السنوات ولا زال مستمراً في تلقي العلم.

8 ـ بحكم الدين أثرت الشعائر الدينية الإسلامية في مجال نشر اللغة العربية ففيها تكبير وشيء من القرآن وتشهد ومواظبة على ذلك في الصلاة، وفي غيرها تسبيح وذكر. وقراءة لسورة الفاتحة في عقود الزواج وفي كل ذلك استعمال للغة العربية.

9 ـ في تاريخ نيجيريا الإسلامي رصيد كبير من المؤلفات العلمية والأدبية لا يزال مخطوطاً، ولا زالت هذه المؤلفات لم تر النور ـ في الأغلب الأعم ـ فلم تنشر بعد. ويحن كثيرون من ذوي الاهتمام وورثة المؤلفات وورثة

الأعلام المؤلفين إلى أن ينشروها وهذا عامل مساعد إذ كتبت هذه المؤلفات باللغة العربية، أو باللغات المحلية والحرف العربي.

مما تقدم يتبين أن العوامل المساعدة على نشر اللغة العربية كثيرة، لكن المشكلات التي تواجه تعليم اللغة العربية في نيجيريا مشكلات عويصة يقف بعضها مستعصياً على الحلول، وهي تتنوع بين مشكلات مادية وأخرى ثقافية وغيرها يصعب حدس دواعيه ومسبباته.

وتلخص النقاط التالية المشكلات التي تواجه تعليم اللغة العربية في البلاد النيجيرية:

1 ـ في مرحلة الأساس يتصدى لتعليم اللغة العربية كثير من المعلمين ممن لا يجيدون اللغة العربية، ولا تعجب إن عرفت أن بعضهم يقوم بتدريسها عبر اللسان المحلي. وهذا لا يغض من قيمة علم بعضهم باللغة العربية وحماسته لتدريسها والتوفيق الذي يصاحبه في ذلك.

2 ـ قلة الحصص المخصصة لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامي في مراحل التعليم الأساسية، حيث لا تجاوز نصيبهما ثلاث حصص أسبوعياً علماً بأن مدة الحصة ثلاثون دقيقة، كما تغيب الحصص التي تعني بالإملاء والإنشاء والخط[9].

3 ـ المدارس التي تحمل عبء تدريس اللغة العربية والدين الإسلامي مدارس ابتدائية أهلية، ولا تتكفل حكومات الولايات والحكومة الاتحادية بدعمها بالمدرسين والكتب. وفيما يتعلق بالكتب فإن بعض المدارس تقرر منها ما يفوق مقدرة التلاميذ ويناسب مستواهم التعليمي.

---

(9) عبد الحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري، مرجع سابق، ص135، ص ص: 135 ـ 197. مع تصرف في الصياغة وإضافة في إيراد مشكلات لم يتعرض إليها أغاكا في بحثه. وقد تم استقاء الإضافات من الملاحظات الشخصية ومن خلال ملاحظات الإخوة المفتشين الذين أرسلتهم جمعية الدعوة الإسلامية العالمية لمتابعة بعض المدارس بغرض دعمها وتحسين أدائها.

وهذه أمثلة على ذلك: يدرس بالنحو ـ من بين ما يدرس ـ متن الأجرومية. ويدرس في الصرف ـ من بين ما يدرس ـ شرح الميداني.

أما فيما بعد الابتدائية ودون التعليم المتوسط فيدرس الطلاب في الفقه ـ مثلاً ـ مختصر خليل والعدوي والعسكري وشرح الرسالة. ويدرسون في النحو ـ من بين ما يدرسون ـ ألفية ابن مالك والأشموني وقطر الندى. وفي الصرف يدرسون قسم التصريف من ألفية ابن مالك وشذى العرف ولامية الأفعال.

وفي الأدب يدرسون: مقامات الحريري وأشهر شعراء الجاهلية ولامية العرب ومقصورة ابن دريد ـ ومن بين ما يدرسون ـ في البلاغة: عقود الجمان ومن بين ما يدرسون في العروض: متن القوافي والعروض. وفي المنطق إيساغوجي. وكذا يدرسون الأصول والتفسير. وفي المحفوظات يحفظون كتاب (تعليم المتعلم طريقة التعلم).

وبنظرة متفحصة لمحاولة المواءمة بين المقررات وسن المتعلمين يوجد تناقض كبير، فبقدر ما تتلعثم ألسنة الصغار ولا تطاوعهم، تجيء كتب متخصصة لتقرع أسماعهم ويطالبون بتعلمها واستظهار بعضها. وهكذا تقف المقررات عقبة أمام اكتساب اللغة إذ من المفترض أن يتعامل المتعلمون مع كتب ميسرة تركز على النصوص والإملاء والإنشاء ومعالجة الخط. وكل هذا يكاد يكون مفقوداً، حتى إنك لتجد كثيراً من النيجيريين يفهم بعضاً مما تقول بالعربية لكنه لا يقدر على التكلم بها. ويلمس هذا واضحاً في كثير من المعاملات معهم كما يلمس بجلاء في خطب الجمعة والعيدين التي تلقى في أغلبها باللغة العربية ولا يقوم الخطيب في كثير من المساجد بترجمة شيء منها، لكنه من خلال المعايشة تأكد لنا أن الأغلبية التي تحضر للصلاة لا تجيد التكلم بالعربية ولكن لديها مقدرة متواضعة على فهم ما يقال باللغة العربية وذلك من خلال تداعي المعاني ومحاولة الربط بين الجمل والمفردات المكونة لها، أي الفهم من خلال السياق العام.

4 ـ نقص الكتب العربية: فقد عمدت حكومة المستعمر قبل استقلال نيجيريا سنة 1960 إلى منع استيراد الكتب العربية، وإخضاع الأمر إلى ضرورة الحصول على ترخيص توريد مع فرض ضرائب باهظة على الأفراد والمنظمات الإسلامية التي تتجرأ على توريد الكتب.

(ويرى بعض النيجريين أن أغلب الكتب المستوردة لا تخدم تعليم اللغة العربية أكثر مما تبلغ رسالة البيئة التي قدمت منها ولهذا فإنهم يرون أن المدارس النيجيرية الأهلية أصبحت مواطن للصراع الفكري والسياسي نتيجة الكتب المستوردة من العرب. بل ودعا البعض إلى العدول عن استيراد الكتب التي كثيراً ما تكون سبباً في إحداث بلبلة في أفكار الشباب النيجيري)[10].

5 ـ مشكلة تأليف كتب عربية بأقلام مواطنين: وتعد هذه مشكلة أمام تقدم اللغة العربية حيث لا توجد ـ على نطاق واسع وشامل ـ كتب باللغة العربية قام بتأليفها نيجيريون أو مقيمون في نيجيريا (ويرى البعض أن الكتب المكتوبة بأقلام من لا يعرفون أذواق النيجريين تجعل محتويات تلك الكتب لا تمت لحياة التلاميذ بصلة، وهذا من شأنه أن يضعف عزيمتهم في محاولة فهم ما وراء النصوص أو المفردات التي قدمت إليهم فيها)[11].

ويذهب البعض إلى القول بأنه: (لا يجوز أن يؤلف أحد لإبناء نيجيريا إلا من ذاق مرارة التعلم والتعليم معنا في هذا الموطن وعرف أمراض تعليمنا وعلاجها، لأنه لا يعالج المرض إلا من عرف الداء والدواء معاً)[12].

6 ـ ومن بين العقبات التي تواجه انتشار تعليم وتعلم اللغة العربية ندرة المطابع

---

(10) عبد الحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجيري. مرجع سابق، ص141.

(11) علي نائبي سويد، من افتتاحية لمؤتمر منظمة معلمي العربية والدراسات الإسلامية، بولاية بوثي، 1983.

(12) عبد الحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجري. مرجع سابق، ص142.

العربية بنيجيريا، مع أن شمال نيجيريا عرف الطباعة بالحرف العربي منذ زمن. تشير المصادر التاريخية إلى أن الطباعة بالحروف العربية ليست فنا جديداً عند أهل نيجيريا إذ كانت الإيصالات والمنشورات بالشمال النيجيري مكتوبة بالحروف العربية منذ عهد بعيد في النصف الأول من القرن العشرين[13].

7 ـ مشكلة الحرف العربي: كانت أكثر لغات نيجيريا تكتب بالحرف العربي، لكن الحرب الثقافية المدمرة التي خاضها المستعمر الإنجليزي أفضت إلى استبدال الحرف اللاتيني به، فانقطعت بذلك صلة النيجيري المعاصر بتاريخ أجداده وصار لا يعرف ذلك إلا من خلال اللغة الإنجليزية. هذا في الأغلب الأعم، إذ لم تعدم بلاد نيجيريا ذات التاريخ المشهور كثيرين من أبنائها الذين حافظوا على ذلك التراث وتوارثوا إتقان أداته ومفتاحه المتمثل في الحرف العربي.

لكن الوقت الحاضر لا يشيع فيه استعمال الحرف العربي في كتابات أبناء نيجيريا ولا تعدو جهود المدارس الأهلية التي تتصدى لتعليم اللغة العربية وكذا المعاهد المتوسطة وأقسام العربية بالجامعات، أن تكون عملاً لا يسعف في المواجهة خاصة إذا عرفنا أن المراسلات والمنشورات وما يتعلق بتلك المؤسسات لا تكتب باللغة العربية أو باللغات المحلية.

8 ـ من بين المشكلات البارزة التي تواجه تعليم اللغة العربية عدم اهتمام الوالدين بمتابعة دراسة أبنائهم. ومع أن مشكلة الانحطاط في التعليم تظل مشكلة عالمية عامة، أسهمت عوامل متعددة في إيجادها، يبرز إهمال الوالدين النيجريين لأبنائهم من بين العوامل ذات التأثير الفاعل في انحطاط التعليم وتسرب الصغار من المؤسسات التعليمية وربما عدم وجود فرصة للالتحاق بالتعليم أصلاً، وإذا أخذنا في الاعتبار أمية الوالدين وضغط

(13) علي أبو بكر، الثقافة العربية في نيجيريا من 1750 إلى 1960 عام الاستقلال، ط بيروت، 1972، ص234.

الظروف الحياتية وكذا كثرة الأبناء لدى النيجيرين عرفنا أن فرصة رعاية الوالدين للطفل في تتابع إنجازه التعليمي فرصة ضئيلة إن لم تكن معدومة.

9 ـ تقصير العرب في نشر اللغة العربية: إذ تقع مسؤولية نشرها على عواتقهم، وهم أقدر من غيرهم على ذلك نظراً لمطواعيتها للسانهم ولسيادتها في أوطانهم رغم مزاحمة اللهجات العامية لها في كل قطر عربي. ويوجب بعض النيجيريين على العرب نشر هذه اللغة، فيقول: (إن مسؤوليات نشر اللغة العربية تقع بالمرتبة الأولى على العرب الذين هم أصحاب هذه اللغة وولدوا في مهادها وربوا بين أحضانها وكونوا بها تاريخياً مجيداً)[14].

ـ ومن طريف ما روى زميل جمعتنا به دورة تدريبية أنه كان في إيران وأم حلقة إقراء يحاول الشيخ فيها تلقين المتعلمين أي الذكر الحكيم وينطق ﴿ٱلْحَآقَّةُ * مَا ٱلْحَآقَّةُ﴾، هكذا: الهاقة ما الهاقة. فاستأذن هذا الزميل وصوّب نطقها وما أن كررها على مسامع المتعلمين صحيحة حتى أتقنوها. فبادر الشيخ قائلاً أنتم العرب ستدخلون النار كلكم. فدهش الزميل مستفسراً عن السبب. فقال الشيخ أنتم مقصرون في تعليمنا العربية. أما ترى أني أخوضها معهم ولا يطاوعني لساني وبمحاولات محدودة جعلتهم ينطقونها سليمة؟

أما في جانب آخر يمثل تهاون العرب في إتقان لغتهم فهذا مثال: (إلتقى طالب من طلاب العربية بشخص مصري فكلمه باللغة العربية، فرد عليه باللغة الإنجليزية، فتعجب الطالب المواطن من هذه الظاهرة الغريبة. قائلاً أنا أكلمك بلغتك العربية وأنت تجيبني بالإنجليزية؟ فرد عليه المصري قائلاً: لا أجيد العربية الفصحى، لذلك أخاف أن أقع في خطأ نحوي

(14) عبد الحميد شعيب أغاكا، مشاكل اللغة العربية لدى الطالب النيجري. مرجع سابق، ص174.

فتسخر مني وأنا أدعي العربية)[15]. وأود أن أضيف أن هذا المثال ينسحب على كثيرين من العرب مهما كانت جنسياتهم، ولا يعني تقصيراً لدى المصريين فقط. وكلنا يعرف مصر ودورها الرائد في نشر اللغة العربية والدفاع عنها، وما أنجبته من علماء أفذاذ كانوا ولا يزالون حماة للعربية. لكن غالبية العرب تتهاون في إتقان لغتها العربية، وتكون بذلك قاصرة عن أن تؤديها إلى الغير.

10 ـ ونظراً لأن تدريس اللغة العربية يتم في مدارس أهلية، لذلك ينعدم الاهتمام بالمواد الدراسية الأخرى، مثل المواد الاجتماعية، والمواد العلمية البحتة والتطبيقية في صورها المتدرجة، وهذا من شأنه أن يخرج متعلمين يحظون بدراسات لغوية عربية وإسلامية، لكنهم يفتقدون غيرها من المواد مما لا يمكنهم من الحصول على وظائف في الدولة، (لأن طبيعة التوظيف في نيجيريا تقتضي غالباً الثنائية في التعليم)[16].

وهذا الواقع ينفر من استنفاد الجهد في تعلم قد لا يكون لصاحبه نصيب في التوظيف.

11 ـ يوجد تغليب للغة الإنجليزية على اللغة العربية في المقررات الدراسية حسب المنهج الاتحادي، إذ تبلغ حصص اللغة الإنجليزية ثلاث حصص مقابل واحدة للغة العربية. وهذا نتاج لحقبة الاستعمار التي تعدت ذلك إلى تشويه صورة معلم العربية ومتعلمها. وإلى القارىء الكريم هذه الحادثة كما يرويها عبد الحميد أغاكا: (التقى طالبان من طلاب اللغة العربية في السوق العامة، فقال أحدهما لزميله: كيف الحال يا أستاذ؟ فاستنكر الثاني هذه الجملة التي تحمل في طياتها معنى الاحتقار والسخرية حسب سلوك بعض أفراد المجتمع النيجيري تجاهها، ولذا لم يرد عليه. فلما التقى به في اليوم الثاني في المدرسة أشبعه ضرباً بحجة أنه فضحه بالأمس أمام جماهير الشعب في السوق بقوله له: كيف الحال يا أستاذ.

---

(15) عبد الحميد شعيب أغاكا، مرجع سابق، ص211.

(16) عبد الحميد شعيب أغاكا، مرجع سابق، ص197.

وهذا قليل من كثير مما غرسه الاستعمار البريطاني في اللغة العربية وفي نفوس دارسيها في هذا الوطن)[17].

وهكذا غرست كراهيتها في نفوس الكثيرين من الجهلة حتى امتد الأمر إلى شعور بعض من تثقفوا بها بشيء من النقص فيحاولون محاكاة الغرب فراراً من أن يوصفوا بالرجعية.

وقد كانت أحوال معلمي العربية والدين الإسلامي على أيام الاستعمار مزرية، حيث لم يكونوا محل اهتمام. فرواتبهم أقل من سواهم ويوجد تعمد لنبذهم، فساءت أحوالهم قياساً بزملائهم من سواهم وكان ذلك مدخلاً لتنفير الطلاب منهم ومما يقومون بتدريسه.

هذه محاولة للإشارة إلى المشكلات التي تواجه تعليم اللغة العربية في نيجريا. هي ـ بكل تأكيد ـ المشكلات التي تتبدى ظاهرة، وربما اختفت وراءها مشكلات أخر قد تكون أدهى وأمر وأود في الختام أن أشير في نقاط مجددة إلى الآتي:

1 ـ انطلاقاً من إيمان راسخ بأهمية اللغة العربية لإخواننا النيجيريين تاريخاً وحاضراً، ديناً وتعاملاً، فإن التعاون يجب أن يقوم من أجل ازدهارها. ومهما سبقت من خطوات جليلة في هذا السبيل فإنها تظل صغيرة قاصرة إذا استحضرنا الكم البشري الهائل الذي يحتاج إلى تعلمها من الناشئين وكذا البالغين الذين فاتتهم فرص تعلمها، ويسعون للإلمام بها.

ومع ما تقوم به الجهود الأهلية من دور بالغ الأهمية، ومع ما يقوم به كثير من الغيورين على دينهم ولغته في القطر النيجيري الشقيق تظل مساحة المواجهة ممتدة عريضة، وتظل هناك إمكانيات كثيرة للعمل وربما بنفس المجهودات وبنفس النفقات إلى تبذل للنهوض باللغة العربية، إذ لا زالت في الحياة بساطة، وقد زرنا ورأينا مجاميع كثيرة تجلس على قارعة الطريق وتحت ظلال الأشجار تقرأ القرآن وتتدارس العلوم. كما أن نفقات بناء

(17) عبد الحميد شعيب أغاكا، مرجع سابق، ص208.

المدارس بالمواصفات الأقل تكلفة أمر ممكن. ولا أغالي إذا قلت إن ما ينقص حياً بكامله لتعلمها إن هو إلا المعلم الكفء، وما يلبث أن تنهال عليه الأعداد الغفيرة تنهل من معارفه، وهذا أمر يسهل العملية لكنه يلقي العبء كبيراً على العرب لينهضوا بواجب تعليم اللغة العربية لغيرهم.

2 ـ كما أنه وفي سبيل اللغة العربية يجب أن تولي المطابع العربية بالا للإنتاج الأدبي والعلمي لإخواننا النيجريين، وهذا الإنتاج غزير أطلعت على وفرة هائلة منه، ولا زال جله مخطوطاً لا يؤمل نشره. وهذا أمر لا يشجع الحاضرين أن يكتبوا باللغة العربية إذا عرفوا أن إنتاجهم لن يرى طريقاً إلى النشر. ومن الإنتاجيات الأدبية المعاصرة لإخواننا النيجيريين شعر ومقالات متعددة ليس هناك من بأس في أن تخرج في مجاميع تضمنها وتعرف بها.

3 ـ كما أود الإشارة إلى ضرورة التشجيع على التأليف المحلي لتغطية الحاجة والنقص في المقررات التعليمية في مدارس تعليم اللغة العربية، ويوجد من يتصدى لذلك من الأساتذة المتخصصين في اللغة العربية وآدابها، كما يوجد غيرهم علماء تبحروا فيها: وكل أولئك أقدر وأقرب لصياغة المادة العلمية التي تراعي البيئة المحلية وترتبط بها.

4 ـ وإذا عرفنا أن الإلف قائم بين النيجيري والحرف العربي، أدركنا أن من الواجب الإسهام في نشر الإنتاج النيجيري باللغات المحلية والحرف العربي وتشجيع ذلك. إذ من المؤسف ألا ترى من ذلك في العقود الأخيرة إلا القليل النادر.

إنها مشكلات أرجو أن أكون وفقت في عرضها، ولا أدعي اكتمالها، بل أراها نقطة في بحر، وأرجو أن أراها تتبلور في أذهان الكثيرين على أنها مشكلة حيوية لا بد من دراستها بعمق، وتشجيع النظر فيها، وعرض الجهود التي تنصب لتعليم اللغة العربية للبحث والدراسة.